سورة الكافرون إعلان البراءة من المشركين

كتبه غريب بتاريخ الأربعاء ٢٠ ذي القعدة ١٤٤٢

تعتبر سورة الكافرون إعلان البراءة من المشركين وذلك لما حوته من خطاب صريح في المفاصلة مع الكفار والبراءة منهم, والتي هي شرط أساسي في الإيمان كما مر معنا عند الحديث عن الولاء والبراء في الإسلام .

في هذه السطور سوف نقف مع معاني سورة الكافرين مبينين معنى البراءة من المشركين التي لابد منها لتحقيق إيمان صحيح, وذلك من خلال المحاور التالية

- نبذة عن سورة الكافرون
- سورة الكافرون تبين كيف تكون البراءة من المشركين
- الخلاصة

نبذة عن سورة الكافرون

هي سورة مكية عدد آياتها ستة وترتيبها في المصحف هو ١٠٩ وقد وردت في فضلها أحاديث كثيرة من بينها أحاديث تصف قراءة سورة الكافرون بكونها تعدل ربع القرآن, وأن من قرأها عند منامه كتبت له براءة من الشرك, ولكن لا تسلم كلها من ضعف, ولا يصح منها إلا حديث أبي بن كعب في كون رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأها في الوتر.

سورة الكافرون تبين كيف تكون البراءة من المشركين

يقول الله تعالى :

< بِسْمِ الله الرحمن الرحيم قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۝ وَلَا أَنْتُمْ عابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ > سورة الكافرون

إذا تأملنا هذه السورة نجدها تبدأ بفعل الأمر :

قُلْ

وهو فعل أمر للمخاطب, كثير مَا نجده في كتب تفسير القرآن يفسر بكونه موجها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فنجدهم مثلا يقولون :

قُلْ يَا محمد

وهذه هي بداية تحريف الكلم عن مواضعه, فأنت أيها القارئ لست رسول الله, ولذلك فالخطاب لا يتوجه إليك بحسب هذا التفسير, وهذا طبعا خاطئ جدا.

فالقرآن وإن كان أنزل على رسول الله, إلا أنه أنزل إلينا يقول ربنا تعالى في سورة البقرة :

< قولوا آمَنّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَينا وَما أُنزِلَ إِلى إِبراهيمَ وَإِسماعيلَ وَإِسحاقَ وَيَعقوبَ وَالأَسباطِ وَما أوتِيَ موسى وَعيسى وَما أوتِيَ النَّبِيّونَ مِن رَبِّهِم لا نُفَرِّقُ بَينَ أَحَدٍ مِنهُم وَنَحنُ لَهُ مُسلِمونَ > [سورة البقرة: ١٣٦]

محل الاستشهاد قوله :

وَمَا أنزل إلينا

فنحن إذن مخاطبون بالقرآن, هو أنزل إلينا وكل أمر فيه الأصل فيه أنه موجه إلينا.

بالعودة إلى سورة الكافرون نفهم أن قوله تعالى:

قُلْ

موجه لك أنت المؤمن, أي قُلْ يَا أيها المؤمن وليس يَا محمد حصرا

ماذا تقول ؟!

< قُلْ يَا أيها الكافرون > [سورة الكافرون: ١]

يأمرك اللّٰه أن توجه الخطاب للكافرين فتقول يا أيها الكافرون !!

لكي تستطيع أن تطيع هذا الأمر" يا أيها الكافرون "يجب عليك أولا معرفة منهم الكافرون الذين ستوجه إليهم هذا النداء, وهذا يستلزم منك تكفير الكافرين, لأنك إذا لم تكفرهم لن تستطيع أن تناديهم قائلا يا أيها الكافرون

أي أن في قوله سبحانه:

< قُلْ يَا أيها الكافرون > [سورة الكافرون: ١]

حكم بوجوب تكفير الكافرين, لأنه لا يمكن أن يتم مَا لم تكفر الكافرين .

إذن سورة الكافرون أول مَا يستفاد منها هو وجوب تكفير الكافرين, وهذا المرتكز الذي ستنبني عليه البراءة من المشركين, كما سنرى

أنت الآن أمامك أمر صريح وواضح :

< قل يَا أيها الكافرون > [سورة الكافرون: ١]

كيف ستنفذ هذا الأمر ؟!

أول نقطة عليك عملها هي النظر في محيطك, هل هم المسلمون الذين تواليهم أم الكافرون الذين تتبرأ منهم ؟!

فإذا عرفت حكمهم وأدركت أن في محيطك مشركين يجب عليك ساعتها أن تناديهم كما ورد في سورة الكافرين

عندما تناديهم ماذا ستقول لهم ؟

هل ستقول لهم إني عدوكم وأكرهكم وأتقرب إلى الله بذلك أيها الكافرون المشركون ؟!

أم ستقول لهم أنا منكم وأحبكم وواحد منكم ؟

عند الرجوع إلى سورة الكافرين نجد ربنا يقول لك ما عليك قوله وهو :

< لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۝ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُم وَلِيَ دِينِ > [سورة الكافرون: ٢-٦]

إذا تأملت هذه الآيات ستجد أن الله عز وجل أمرك بأن تعلن للكفار براءتك من آلهتهم التي يعبدون مرتين, مرة بصيغة الفعل المضارع " أَعْبُدُ "

< لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ > [سورة الكافرون: ٢]

ليدل على الاستمرار في الزمن في نبذ آلهتهم التي يعبدون

والمرة الثانية بصيغة اسم الفاعل " عَابِدٌ "

< وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدتُّمْ > [سورة الكافرون: ٤]

ليؤكد على كون هذه هي حاله مع آلهتهم لا يعبدها أبدا, فما معنى عدم عباة ما يعبده المشركون ؟!

إن معنى العبادة هو الخضوع والطاعة, وحين يأمرك ربنا في سورة الكافرين بإعلان عدم عبادة آلهتهم فإنه يأمرك بعدم الخضوع لما يخضعون له من نظم وعادت وتقاليد وهذا هو إعلان التمرد

فقولك في سورة الكافرين للكفار " لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ " يعني أكفر بكل ما تقدسونه وتخضعون له من دون الله, أكفر بقانونكم, أكفر بعاداتكم, أكفر بتراثكم أكفر برئيسكم وكل ما تخضعون له .

إن الله لا يأمرك في سورة الكافرين بالتحدث عن نفسك وحسب, وإنما يأمرك بإعلان حقيقة كفر الكافرين التي جعلتهم كفارا وهي كونهم لا يعبدون الله وحده, فأمرك أن تقول لهم :

< وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ > [سورة الكافرون: ٣]

ثم أكد عليها مرة أخرى:

﴿ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ [سورة الكافرون: ٥]

وهذه أشد على الكفار من الأولى، لأن الكفار لا يعتبرون أنفسهم كفاراً، بل يرون أنفسهم عابدين لله وحده في أحيان كثيرة، فإذا أخبرتهم بأنهم لا يعبدون اللّٰه الذي تعبده حيث يشركون معه ما لم ينزل به سلطانا، اعتبروك خارجي ضال وتكفيري لأنك سفهت أحلامهم وعريت دينهم

بدأت سورة الكافرون بوجوب تكفير الكافرين وهذا يعني مفارقة دينهم وهذا بالضبط ما أمرك اللّٰه أن تعلنه صراحة للكفار في قوله تعالى :

﴿ لَكُم دينُكُم وَلِيَ دينِ ﴾[سورة الكافرون: ٦]

نعم لكم دينكم القائم على الشرك، ولي ديني القائم على التوحيد، ولا لقاء بيننا في منتصف الطريق.

الخلاصة

نستخلص من سورة الكافرين أن البراءة من المشركين تكون بالخطوات التالية

أولا تكفير الكفار وإعلانه لهم بشكل صريح : يَا أيها الكافرون

ثانيا إعلان التمرد على آلهتهم التي يعبدونها من دون الله وذلك بشكل صريح : لا أعبد ما تعبدون

ثالثا إعلان مناط التكفير للمشركين وهو عدم توحيد الله عز وجل: ولا أنتم عابدون ما أعبد

رابعا إعلان التمايز الديني مع الكفار وذلك أيضا بشكل واضح وصريح : لكم دينكم ولي دين

ذلك هو إعلان البراءة من المشركين التي أمرنا الله بها في سورة الكافرين، من أتى به قد أعلن البراءة من المشركين على الوجه الذي أمر به ربنا عز وجل، وعليه أن يهجرهم كترجمة عملية لإعلان البراءة منهم

ينبغي التنبيه على أن البراءة من المشركين التي نصت عليها سورة الكافرين شيء، والتعامل معهم مع هجرهم شيء آخر، فالبراءة من المشركين شرط في الإسلام لا يصح من دونها، أما التعامل معهم فهذا له أحكامه التي تتغير بحسب أنواع الكفار وبحسب الفرد والدولة، وإن شاء الله سوف نتحدث عنه في مقال مستقل قريبا بإذن الله.

كما ينبغي التنبيه على أن ما استخلصناه من سورة الكافرون ليس إلا جزءا يسيرا، وذلك لكون سورة الكافرين حوت الكثير من العلم لمن يتدبرها شأنها في ذلك شأن كل سورة من سور القرآن الكريم.